وكان اذا خرج من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي ان يسكت او يثني [illegible]
في حضوره وفي غيبته وبين يدي عدوه قيل لابن عمر انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره
قال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا نفاق مهما كان مستغنيا عن الدخول
وعن الثناء فلو استغنى عن الدخول ولكن اذا دخل فخاف ان لم يثن فهو نفاق لانه الذي احوج نفسه اليه
وان كان يستغني عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل لضرورة الجاه والغنى واثنى فهو
منافق وهذا قوله عليه السلام حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل لانه
يحوج الى الامراء والى مراعاتهم ومراياتهم اما اذا اضطر وخاف ان لم يثن فهو معذور فان اتقاء الشر
جايز قال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتبغضهم وقالت عايشة رضي الله عنها
مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بئس رجل العشيرة فلما دخل عليه اقبل عليه فراجعته لما خرج
فقال يا عايشة ان شر الناس الذي يكرم اتقاء شره ولكن هذا ورد في الاقبال وفي الكشر والتبسم
فاما الثناء فهو كذب صريح فلا يجوز الا لضرورة او اكراه يباح الكذب بمثلها بل لا يجوز الثناء ولا
التصديق ولا تحريك الراس في معرض التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك فهو منافق بل ينبغي ان ينكر
فان لم يقدر فيسكت بلسانه وينكر بقلبه **الآفة الثامنة عشر المدح** وهو منهي عنه في بعض
المواضع اما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها والمدح يدخله ست آفات اربعة في المادح
واثنتان في الممدوح فاما المادح فهو انه يفرط فينتهي به الى الكذب قال خالد بن معدان من مدح
اماما او واحدا بما ليس فيه على رؤوس الاشهاد بعثه الله يوم القيامة يتعثر بلسانه **الثانية**
انه قد يدخله الرياء فانه بالمدح مظهر للمحبة وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله فيصير به
مرائيا منافقا **الثالثة** انه يقول ما لا يتحققه ولا سبيل له الى الاطلاع عليه روي ان رجلا مدح
رجلا عند النبي عليه السلام فقال ويحك قطعت عنق صاحبك ثم قال ان كان لابد احدكم مادحا اخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكي

على الله

على الله احدا [illegible] ان كان يرى انه كذلك وهذه الآفة تتطرق الى المدح بالاوصاف المطلقة التي تعرف
بالادلة كقوله انه متق وورع وزاهد وخير وما يجري مجراه اما اذا قال رايته يصلي بالليل ويتصدق ويحج فهذه
امور مستيقنة ومن ذلك قوله انه عدل رضي فان ذلك خفي فلا ينبغي ان يجزم القول به الا بعد خبرة باطنه
سمع عمر رضي الله عنه رجلا يثني على رجل فقال اسافرت معه قال لا قال اخالطته قال لا قال والله الذي
لا اله الا هو لا تعرفه **الرابعة** انه قد يفرح الممدوح وهو ظالم او فاسق وذلك غير جائز قال صلى الله عليه وسلم
ان الله يغضب اذا مدح الفاسق وقال الحسن من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله والظالم الفاسق
ينبغي ان يذم ليغتم ولا يمدح فيفرح **اما الممدوح** فيضره من وجهين **احدهما** انه يحدث فيه
كبرا او اعجابا وهما مهلكان **الثانية** هو انه اذا اثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفسه
ومن اعجب بنفسه قل تشمره وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فاما اذا انطلقت الالسنة بالثناء
عليه ظن انه قد ادرك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم قطعت عنق صاحبك لو سمعه ما افلح وقال عليه السلام اذا مدحت
اخاك في وجهه فكانما امررت على حلقه موسى رميضا وقال ايضا لمن مدح رجلا عقرت الرجل عقرك الله
وقال مطرف ما سمعت ثناء ولا مدحة الا تصاغرت الي نفسي وقال زياد بن اسلم ما من رجل يسمع ثناء
عليه او مدحة الا تراءى له الشيطان ولكن المؤمن يراجع قال ابن المبارك قد صدق كلاهما اما ما ذكره
زياد فذلك قلب العوام واما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال عليه السلام لو مشى رجل الى رجل بسكين
مرهف كان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه وقال عمر رضي الله عنه المدح الذبح وذلك لان المذبوح هو الذي
يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور ولان المدح يورث الكبر والعجب وهو مهلك كالذبح فلذلك شبهه به
فان سلم المدح عن هذه الآفات في حق المادح والممدوح لم يكن به باس وربما كان مندوبا اليه ولذلك اثنى
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة حتى قال لو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالمين لرجح وقال لعمر لو لم ابعث
لبعثت يا عمر واي ثناء يزيد على هذا ولكنه قال عن صدق وبصيرة وكانوا اجل رتبة من ان يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا

Copyright © King Saud University